Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية
العدد (100) المجلد (1) حزيران 2024

خطاب الجسد في شعر أبي نواس

The discourse of the body in the poetry of Abu Nawas

د. قاسم محمد عبد م.م. ابو بكر احمد رسول
جامعة رابرين/ كلية التربية – قلعة دزة/ قسم اللغة العربية

Abstract

This research is an attempt to understand the discourse of the body represented by its silent, non-verbal movements and gestures in Abu Nawas's poetry, to monitor the physical movements in the poetry and to indicate their connotations and impact on the mind of the recipient. These movements are represented by non-verbal manifestations, signs and gestures resulting from the body, and may take place separately from speech or in a form. Accompanying it, body language is an apparent reflection of a person's condition, and every gesture or movement can be a valuable basis for a feeling or feeling that the person feels at this moment.

The research was divided into four sections. In the first section, we dealt with the speech of the eye and its connotations, which are the most frequent connotations in Abu Nawas's poetry. As for the second section, we studied the speech of the face and its expressions that indicate meanings that the poet intends to convey to the recipients. In the third section, we talked about the speech of the walking form, which is a physical form. They represent movements that contain apparent meanings. The fourth section is devoted to hand speech, which is also gestures and signs that indicate several meanings. The research concluded with a conclusion that contains the most prominent findings of the research.

Email:
kasemabed@uor.edu.krdabubakr.ahmad@uor.edu.krd

Published: 1-6 -2024

Keywords: الخطاب الجسدي، لغة الجسد، الاتصال غير اللفظي، ابو نواس

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

هذا البحث هو محاولة للوقوف على خطاب الجسد المتمثل بحركاته وإيماءاته الصامتة غير المنطوقة في شعر ابي نواس لرصد الحركات الجسدية في الشعر وبيان دلالاتها وتأثيرها في ذهن المتلقي، وتتمثل هذه الحركات بالمظاهر غير الشفهية والاشارات والايماءات الناجمة عن الجسد، وقد تتم بصورة منفصلة عن الكلام أو بصورة مصاحبة له، فلغة الجسد هي انعكاس ظاهري لحالة الشخص ويمكن أن تكون كل إيماءة أو حركة أساسا قيما لإحساس أو شعور يشعر به الشخص في هذه اللحظة، وقد قسم البحث على أربعة مباحث في المبحث الأول تناولنا خطاب العين ودلالاتها وهي أكثر الدلالات ورودا في شعر أبي نواس ، أما المبحث الثاني فقد درسنا فيه خطاب الوجه وتعابيره التي تدل على معاني ينوي الشاعر ابلاغها للمتلقين، وفي المبحث الثالث تحدثنا عن خطاب هيئة المشي وهي هيئة جسدية تمثل حركات مضمرة لمعاني ظاهرة، اما المبحث الرابع فخصص لخطاب اليد وهي ايضا ايماءات واشارات تدل على معاني عدة، وختم البحث بخاتمة فيها أبرز ما توصل اليه البحث من نتائج.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الطيبين وصحبه اجمعين وبعد:

فإن خطاب الجسد يعد ظاهرة لغوية تتمثل بالمظاهر غير المنطوقة والاشارات والايماءات الناجمة عن الجسد ، وهذه اللغة هي وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الصامت يوظفها الانسان في التعبير عن افكاره ومشاعره، وترجمة احلامه وما يدور في خلده من أحاسيس ، لذا يتطلب وجود مرسل لهذه الاشارات ومتلق لها، حيث تصبح للهيئة وحركات الجسم وظيفة تواصلية عمادها الحركة خلافا للتواصل اللفظي القائم على وحدات فونيمية ، تقوم أساسا على النسق اللغوي المنطوق.

وقد اتجهنا في هذا البحث الى نتاج الشاعر أبي نواس وقراءة الخطاب الجسدي في شعره فلحظنا أنَّ الشاعر اعتمد على هذه اللغة في شعره بدرجة كبيرة فظهرت الانفعالات لديه عن طريق الجسد واضحة وجلية، للتعبير عن مشاعر المرسل، فكان شعره يدعم الاتصال (اللفظي المنطوق) ، بالاتصال غير اللفظي (خطاب الجسد) ، وقد كان لهذا الاسلوب تاثيرا كبيرا على المتلقي.

قسم البحث على تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، في التمهيد تحدثنا عن اللغة والجسد بعدهما أساس الفكرة التي ينطلق منها البحث ، وفي المبحث الأول خصص لخطاب العين وقفنا فيه على أبرز الدلالات التي أنتجها الخطاب الصامت من خلال الإشارات والإيماءات ، وفي المبحث الثاني تناولنا فيه خطاب الوجه وأهم الدلالات التي نتجت عنه ، وفي المبحث الثالث خصص لخطاب الهيئة الجسدية، وهي هيئة المشي

لما لها من أهمية في توضيح المعنى وتأكيده ، أما المبحث الرابع فقد جاء لخطاب اليد للوقوف على أبرز دلالاتها ، وختم البحث بخاتمة سجلنا فيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق اجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

اللغة والجسد

حين اللجوء إلى تكويننا نلحظ أن الإنسان عبارة عن الروح والجسد أي اجتماع هيئات وأعضاء، كما أن الروح يتقوقع في جسد يحتوي فضاء مليئا بالاصوات، وباتفاق هذه الأصوات واجتماعها زمرة تتكون اللغة، وفي هذا المضمار نجد أن القدماء لهم القسط الأوفر في احتواء اللغة وتعريفها كما عرف (ابن جني) اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أعراضهم"[1]، وهذا يؤكد وظيفة التواصل في اللغة. أما حين الالتفات إلى نظرية (ديسوسير) فنلحظ أنه عرف اللسان بأنه عبارة عن نسق من الدلالات التي تعبر عن المعاني وهذا يدل على أن اللغة المنطوقة والمكتوبة جزء من السيمياء والإشارات[2].

وفي حالة قراءتنا للغة نلحظ أن لها بنى اجتماعية فأية لغة في المجتمع هي من ابتكار ذلك الشعب وهو في ابتكاره وتطويره يعاملها كجانب من جوانب التكنولوجيا الحضارية الأخرى في المجتمع[3]. ومن هنا نرى أن الاتصال هو نقل المعلومات بين الأفراد نقلا مقيداً بقناة محددة *؛ كما أننا لا ننسى المشاركة في الاتصال والتي تتم خلال الحوار بين الشخصين (ديالوج) أو الحوار الداخلي (مونولوج)، وحينما نودّ أن نكمل نصاب اللغة في فضاء الجسد نرى أن الإتصال يتم بلفظي (اللغوي) و غير لفظي (الجسدي)، وهذه دلالة صريحة على أن الإنسان يتواتر في معانقة أساليب شتى لفهم الآخرين ولتكملة مسار الحياة. ويمكننا تحليل الرسائل إلى ثلاثة أجزاء : "مجموعات (مثل الكلمات)، ووحدات صغرى (مثل الأصوات) وأنماط (مثل القواعد و النحو) وهذا يعد الشئ الأساس لفهم الثقافة كاتصال"[4]. بين الأشخاص في المجتمع.

وإذا كانت اللغة المنطوقة قد ارتقت بالإنسان وجعلته سيدا للكائنات الأرضية، فإن هذه اللغة لم تحل محل لغة الجسد ولم تنحها بعيدا، فما زالت الإشارات تستعمل استعمالاً واسعاً بمصاحبة لغة الكلام بل بديلاً عنها في بعض الأحيان[5]؛ كما تختلف المجتمعات الإنسانية في استخدام أعضاء الجسم للتعبير عن بعض المعاني والدلالات، ويتمثل في ما نجده في اختلاف الإشارة الدالة على الإعجاب[6] ، لذلك فإن لغة الجسد هي انعكاس خارجي للحالة العاطفية لشخص ما؛ فكل إيماءة أو حركة يمكن أن تكون دليلاً على ما يشعر به هذا الشخص في ذلك الوقت[7].

والجدير بالتأكيد أن التناقل اللغوي لا يقتصر على عالم الإنسان فقط بل يتعداه إلى عالم الحيوان، إذ إن كل الحيوانات والحشرات التي تعيش عيشاً مجتمعاً طور نظاماً، ففي دراسته عن خلية النحل استطاع (الكسندر دينز) أن يحدد الوسائل التي تستعملها النحلة لنقل معلومات دقيقة إلى رفيقاتها عن الأمكنة التي يتواجد فيها رحيق الأزهار؛ ويقول إن النحلة التي تجد الرحيق سرعان ما تعود إلى خليتها وتؤدي رقصة تعرف برقصة الذنب التي تشير إلى موضع الرحيق ومدى بعده عن الخلية كما تشير إلى الاتجاه الذي يقع فيه[8] ، وهذا يدل على توسع فضاء هذا النوع من اللغة وممارستها و الحاجة إليها.

والذي علينا قوله هو أن أجسامنا ترسخت فيها تعابير وجيهة لسبعة انفعالات عالمية هي الدهشة، والخوف، والغضب، والحزن، والاشمئزاز، والسعادة، والازدراء كما أن هذه الانفعالات يشترك فيها الناس على اختلاف مراتبهم الاجتماعية إلا أن هذه الانفعالات تخفي شعورنا بالغضب أو بالحزن لأننا لانريد إظهارها[9].

عند الاتصال وإرسال التعبيرات الموجهة إلى الشخص المقابل نرى وظيفة التعبير عن الانفعالات، التي لاتظهر في اللغة المنطوقة وحدها بل تستخدم أيضاً كإشارات غير منطوقة، وتستعمل هذه الوظيفة في الأدب كما في الشعر؛ لأنه مكمن لحمل هذه الانفعالات وتوزيعها على القصائد في هيئات مختلفة وصور متعددة بأسلوب جمالي انطلاقاً من قراءة الشعور النفسي للشاعر، وقد أجاد أبو نواس في توزيع الخطاب الاتصالي بين المنطوق وغير المنطوق في قصائده؛ وذلك للدلالة على الكثير من المعاني التي يريد ايصالها للمتلقين، وإبلاغها للمخاطبين.

المبحث الاول: خطاب العين

تشكل العين جانبا كبيرا في التواصل مع الآخرين، وتختبئ فيها كثير من مشاعر: الحب ، والمودة ، والكره، والحقد، فتظهر كثير من التفسيرات عن طريق العين ، ويظهر أيضا الاهتمام بالمتحدث أو المرسل أو المخاطب، ونجد أيضا : التجاهل ، وعدم الاهتمام ، وعدم الأكتراث، بمن يتكلم بتجاهله تجاهلا تاما وعدم النظر إليه عن طريق الاتصال العيني" ، وبالجملة فالعيون وجوه القلوب وأبوابها التي تبدو منها أحوال النفس وأسرارها ن وذلك لاتصالها بمواضع القلب، وصفائها ورقتها، فاحكم بها لتحقيق النظر وصمته"[10]

فالعين تلعب دورا مهما في الكشف عن خبايا النفوس والمشاعر التي تدور داخلها ، " فقد تغدو العين في سياق ما لسانا فصيحا متكلما ينطق بمعان ، فيستجيب من يعاينها بعد اقتناص مرادها المتشكل من هيئة تشكلها ، استجابة عملية ، أو كلامية ، وللقدماء التفاتات معجبة الى مهمة العين في التواصل، والإبانة ، والبيان، والتبيين ، وقد انبنى على اعتبارهم بهذا التقرير، تقرير بأهميتها في الإبانة عن حواشي النفوس وضمائرها ، وأفضى ذلك الى قولهم : (فاعتمد على هذا الاعتبار في توسمك ، واحكم بما يظهر منه)"[11]

تعبر العين في كثير من السياقات الاجتماعية اليومية عن مشاعر متنوعة ومختلفة ، فنلحظ في العين: الحب، والحزن، والألم، والمرض، وكثيرا من التفسيرات الأخرى، وقد جاء في العقد الفريد : " إن العيون باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين" [12]، وقد ورد التعبير عن المحبة عن طريق العين في شعر أبي نواس في كثير من المواضع " فلو لم يكن للمحبين شهيد على أنفسهم فيما يدعون من المحبة إلا ملاحظة أبصارهم في استدراكهم مواجيدهم لكفاهم"[13]، كما في قوله:

بِكَفَّي فاتِرِ اللَحظِ رَخيمِ الدَلِّ مَيّاسِ

لَنا مِنهُ مَواعيدٌ بِعَينَيهِ وَبِالراسِ[14]

يتجسد الخطاب الجسدي متمثلا بلغة العيون التي تعد الشاعر مواعيد الحب واللقاء، وهنا لم تتكلم الحبيبة بكلمة ولم تتفوه بجملة لكن الشاعر قد فهم منها بلغة الاشارة بأن عينيها تخبراه بالحب وتعداه باللقاء، فالمعلن في هذه الابيات هو حركات جسدية صامتة لكن المخفي ذا دلالة اجتماعية يعرفها المجتمع في حركات العين التي غالبا ما تعطي دلالة عاطفية أولها الحب، وفي ذلك يقول أيضا:

وَأَحوَرَ لا تُجاوِزُهُ الأَماني حَلَبتُ لِوُدِّهِ ماءَ المَآقي

دَعَتني عَينُهُ دونَ النَدامى وَآذَنَني مَتى مِنّا التَلاقي

فَبِتُّ عَلى شَفا المَوعودِ أَلقى جَوىً لِلِقائِهِ كَجَوى الفِراقِ[15]

بعد ان يصف الشاعر جمال الحبيب، ويصف أمانيه فيه وبكائه عليه شوقا اليه، يأتي الخطاب الجسدي ليصف موعد الحبيب لحبيبه عن طريق لغة العين التي لم تنطق بشيء لكن الشاعر فهم منها من خلال لغة الاشارة بأنه يعده في اللقاء ويحدد وقته، لذا كان الشاعر ينتظر في الوقت المحدد وقلبه يلتهب بالخوف من فراقه ان تم ذلك اللقاء، فهو فرح وخائف في الوقت ذاته، وهذه علامة من علامات الحب الكبير والتي تغنى بها الشعراء لبيان تجاربهم في العشق والغرام. وهنا كانت العين "باب النفس الشارع، وهي المنقبة عن سرائرها ، والمعبرة لضمائرها، والمعربة عن بواطنها، فنرى الناظر لا يطرف، ينتقل بتنقل المحبوب، وينزوي بانزوائه ، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس"[16] ، وفي هذا المعنى أورد الشاعر الكثير من الابيات الشعرية منها قوله:

قالَ اِشتَكَتكَ وَقالَت ما بُليتُ بِهِ أَراهُ مِن حَيثُما أَقبَلتُ في أَثَري

وَيُعمِلُ الطَرفَ نَحوي إِن مَرَرتُ بِهِ حَتّى لَيُخجِلُني مِن حِدَّةِ النَظَرِ[17]

تشتكي المحبوبة من عاشقها الذي تراه أمامها حيثما حلت ورحلت فهو دائم النظر اليها يتتبع أثرها ويمشي خلفها محبة بها فإذا ما مرت به أعمل طرفه نحوها وجعله لا يفارق أثرها حتى إنها لتخجل من حدة نظراته وتواصلها ، وفي هذا الموقف لا نسمع شيئا من المحب لكن نظراته المتواصلة نحو حبيبته

تفصح عن الكثير وتغني عن الكلام، فهو يرجو من حبيبته بأن تبادله مشاعر الحب وكأنه يصرح لها بحبه ويخبرها بشدة شوقه، فهو لا يمكنه فراقها أو البعد عنها.

ومعاودة النظر الى الحبيب تعد علامة بارزة لشدة الحب وشوق اللقاء، يقول أبو نواس:

ما يَرجِعُ الطَرفُ عَنها حينَ أُبصِرُها حَتّى يَعودَ إِلَيها الطَرفُ مُشتاقا[18]

يرسم الشاعر صورة للعاشق الولهان الذي لا يمكنه فراق حبيبته ولو للحظة واحدة بل إنه يجد في ارتداد الطرف وترميشه غيابا عن الحبيب يدعو الى الاشتياق والحنين فما إن تغيب العين لحظات حتى تشتاق لتنظر مرة أخرى، فهو في نظره اليها متواصل لا ينقطع، فقمة الحب هي في امتاع النظر من الحبيب وبمجرد النظر يطيب قلب العاشق وتسمو روحه وترضى نفسه.

وتقوم العين بدور الرقيب في كثير من المواقف والسياقات، فهي إما ان تنتظر أمرا يسرُّ، وإما أن تنتظر أمرا يحزن، فيذكر ابن حزم في طوق الحمامة قائلا: "واعلم أن العين تنوب عن الرسل ، ويدرك بها المراد، والحواس الأربعة أبواب الى القلب ومنافذ نحو النفس، والعين أبلغها وأصلحها دلالة وأرعاها عملا، وهي رائد النفس الصدق ودليلها الهاوي ومرآتها المجلوة التي بها تقف على الحقائق وتميز بها الصفات وتفهم المحسوسات"[19]

أَما كَفى طَرفَكَ أَن يَنظُرا إِن راحَ لِلتَسليمِ أَو بَكَّرا[20]

ويقول أيضا:

ظَبيٌ لَهُ مِن قُلوبِ الناسِ نابِتَةٌ مِنَ المَوَدَّةِ تُجني أَطيَبَ الثَمَرِ

إِذا بَدا رَمَتِ الأَبصارُ جانِبَهُ مَعاً فَلَم تَختَلِف عَينانِ في النَظَرِ[21]

ويقول:

مَرَّ بِنا وَالعُيونُ تَأخُذُهُ تَجرَحُ مِنهُ مَواضِعَ القُبَلِ

أُفرِغَ في قالَبِ الجَمالِ فَما يَصلُحُ إِلّا لِذَلِكَ العَمَلِ[22]

فعين المحب تراقب من تحب وتتبعه أنى ذهب، وتواصل النظر في تتبعه رغبة منها بألا يغيب المحبوب، وهذا الترقب والتتبع يتم بشكل صامت، لئلا يكشف أمر المحب.

وقد تفضح العينين صاحبها العاشق الذي يخفي عشقه ربما لخوفه أو رغبة في إخفاء الحب لمن يحب لكن مع حرصه على كتم الحب وعدم إذاعته تظهر عينه حبه وتفشي سره ، يقول أبو نواس:

خبّر طرفي بالذي أخفي ويحك ما أفشاكَ من طرفِ

لا يَكتُمُ الطَرفُ هَوى عاشِقٍ لَكِنَّما يُفشيهِ بِالذَرفِ

حَتّى لَعَيني بِكَ فيما أَرى أَعلَمُ مِن نَفسي بِما أُخفي[23]

إنّ مشاعر الحب لا يمكن كتمانها مهما حاول الانسان ذلك؛ لأنها مشاعر تتعلق بالحالة النفسية، ومعروف إنّ الحالات النفسية سواء كانت حالات حزن أو فرح، أو كره ، أو حب، فهي من الصعوبة كتمانها وإخفاؤها ولا بد لها أن تظهر ولو في حركات الجسد وإشاراته، فالشاعر هنا يظهر حالة من حالات عشقه المخفي الذي لا يعلم به أحد لولا عينه التي تذرف الدمع بكاء للقاء حبيبه والمعلوم إن العين تبكي في المواقف الحزينة التي تدل على القهر لتطرح الطاقة السلبية لكنها أحيانا تدمع في المواقف السعيدة.

ومن علامات الحب الأرق وقلة النوم وهي إشارات تقوم بها العين للدلالة على السهر شوقا وحبا او حزنا لفراق من يحب يقول الشاعر:

أبت عيناي بعدك أن تناما وكيف ينام من ضمن السقاما

بكيت من الفرق لما ألاقي وراجعت الصبابة والغراما[24]

يبين الشاعر حالته النفسية الحزينة التي سببها فراق الحبيبة ورحيلها عنه ويشبه حاله بحال المريض الذي أتعبه المرض ومنعه النوم ، فذكريات الحب وأيام الصبا التي قضاها مع حبيبته منعته النوم وسببت له ارقا " ومن علامات العشق السهر الذي هو من أعراض المحبين، وقد أكثر الشعراء في وصفه، وحكوا أنهم رعاة الكواكب، ووصفوا طول الليل"[25] ، لذا نراه يقول في ذلك المعنى:

رَسمُ الكَرى بَينَ الجُفونِ مَحيلُ عَفّى عَلَيهِ بُكاً عَلَيكِ طَويلُ

يا ناظِراً ما أَقلَعَت لَحَظاتُهُ حَتّى تَشَحَّطَ بَينَهُنَّ قَتيلُ[26]

لقد استحالت صورة النوم لدى الشاعر فالبكاء على الحبيب قد عفى النوم من عينيه ومحاه ولم يبقي له أثرا يذكر، وهذا البكاء وانعدام النوم هي عادة جرى عليها العشاق لإظهار صدقهم، وبيان تعلقهم في الحبيب ، ثم يصف الشاعر جمال حبيبته في البيت الثاني ويصفه بأنه ليس جمالا عاديا، بل إن نظراته قاتلة فما إن ينظر الى شخص إلا يرديه قتيلا على الفور، وما ذلك إلا لجمال عينيه وبهاء صورته، وتعد صورة البكاء المسهرة من صور خطاب الجسد الصامتة؛ لأنها صورة تضمر في بواطنها عبارات الحب وتغني عن التصريح المباشر بل هي أبلغ من التصريح وأجمل وقعا في نفوس السامعين " فالعيون وجوه القلوب وأبوابها التي تبدو فيها أحوال النفس وأسرارها، وذلك لاتصالها بمواضع القلب وصفائها، ورقتها، فاحكم بها لتحقيق صحته"[27]

وتبوح العين بما لا يريد الشاعر إظهاره، بل يحرص على كتمانه، لكنَّ العين لا توافقه، بل تنمُّ عمَّا في داخله، فيقول:

نَمَّ بِما كُنتُ لا أَبوحُ بِهِ عَلى لِسانٍ بِالدَمعِ مِنطيقِ

شَوقاً إِلى حُسنِ صورَةٍ ظَفِرَت مِن سَلسَبيلِ الجِنانِ بِالريقِ[28]

فالعين في حالة بكائها تنطق عن خفايا النفس وتظهر مكنونات الفؤاد المعذب في الحب ربما ذلك لكون الشخص في الكثير من حالات الحب يعجز عن التعبير عن معاناته والامه فتبدأ العين بذرف الدموع تعبيرا صادقا عن شوقها وحنينها،"وبالدموع تكتسب لغة الصمت الطبيعة والصدق قياسا بلغة اللسان الذي يحاول الإيهام عن طريق الكتمان فتأبى العيون في مواقف العشق"[29] وقد أجاد الشاعر في استخدام الفعل (نم)، لكونه فعلا مناسبا للغة العيون، وقد استعمله الشعراء بكثرة، كما في قول أحد الشعراء:

إن كاتمونا القلى نمّت عيونهم والعين تظهر ما في القلب أو تصف[30]

وقد جاء في المثل : (رب طرف أفصح من لسان) [31]، لذا نلحظ لغة العيون جلية في البيتين السابقين فالشاعر لم يبح بشيء، ولم يصرح بحبه إلا أن عينه قد فضحته ببكائها، وقد جاء البيت الثاني تصريحا من الشاعر عن سبب بكائه فكان يبكي شوقا لحبيبه الذي لم تفارقه صورته الجميلة منذ لقاءه الأول.

لذا نجده يقول عن حبيبته (سعدى) :

وَكَأَنَّ سُعدى إِذ تُوَدِّعُنا وَقَدِ اِشرَأَبَّ الدَمعُ أَن يَكِفا[32]

أفصحت العين في هذا البيت عن المشاعر المكنونة في نفس المحب العاشق الذي يقف ليودع حبيبته وهو يرى مشهد الوداع ورحيل الحبيبة، فما تلبث العين وهي على هذا الحال إلا أن يعلوها الدمع وينزل على الخد من دون وعي من الشاعر، وقد أجاد أبو نواس في وصف المشهد الحزين حين وصف ترتيب الدمع أثناء تساقطه فقوله: (وقد اشرأب الدمع) يعني ارتفاعه فوق العين لينزل على الوجنة، وكلمة(يكف) تعني أنَّ الدمع ينزل ببطئ وهدوء قليلا قليلا[33]، وهنا نلحظ حرارة الحب ولوعة الفراق من خلال حركة الدموع التي تسيل شيئا فشيء على خد المحب وكأنَّ العين تحكي قصة الحب التي عاناها الشاعر من اللقاء الاول الى لحظة الوداع .

وفي أبيات أخرى يصف الشاعر مقدار الدمع الذي يذرفه شوقا للحبيب ويشبهه بنهر الفرات في جريانه فيقول:

وَيلاهُ مِن نارِ شَوقٍ تَرقى إِلى اللَهَواتِ
فَأَجرَتِ العَينَ دَمعاً تَفيضُ فَيضَ الفُراتِ[34]

فعين الشاعر تفيض على خده كنهر الفرات الذي يفيض في جريانه، وهذه المبالغة تأتي مناسبة لمشاعر العاشق الذي لا يجد شيئا يعبر عن حزنه سوى فيض الدموع وجريانها .

ولا يكتفي الشاعر بأن يصف مشاعره الباكية تجاه حبيبته بل نجده يصف جانبا من بكاء الحبيبة عليه كما في قوله:

أَنا أَهْواكِ فموتي كَمَدَا لستُ والله بسالٍ أَحَدَا
هي تبكي اليوم من وجدي بها وتشكى ثقله كيف غدا[35]

يصور أبو نواس تبادل الحب بينه وبين حبيبته من خلال البيتين السابقين، ففي البيت الأول يصف الشاعر حبه الذي وصل حدَّ الموت، فهو في حزن مستمر وعزاء دائم فلا يسلوا بغيره، وفي البيت الثاني يصور بكاء حبيبته التي تبادله الحب وتقاسمه الأحزان على فراق اليوم الذي كان ثقيلا عليها، فبكاؤها قد سطر قصة الحب التي عانتها بغياب حبيبها، فكانت العين تفصح بصمتها عن لوعة الشاعر وحبيبته على الفراق ولو كان قليلا.

المبحث الثاني: خطاب الوجه

يشكل الوجه جانبا كبيرا في التواصل مع الآخرين ، ويحمل تعابير عدة يمكن تفسيرها عن طريق تبديها على الوجه، وبذلك يمكن تحديد مشاعر الشخص الذي يؤدي هذه التعابير، فللوجه دلالات كثيرة في السياقات الاجتماعية اليومية، كما ورد في سورة يوسف قوله تعالى : (يخل لكم وجه أبيكم) [36] ، أي يفرغ لكم بالأهمية ، واختير الوجه لأهميته على سبيل المجاز المرسل، ويقال: فلان وجه في القبيلة، إن كان ذا سيادة، ويقال: أعطيته لوجه الله.

" فإن الوجه أكمل الأعضاء لظهور الآثار النفسية فيه بوجه أتم، لأن الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة على الأخلاق الباطنة، كـ: الخجل ، والخوف والغضب، والفرح والكآبة، فإن لكل واحد لونا مخصوصا يظهر في الوجه دون البدن" [37]

والوجه مكنز الدلالات ، وموئل الإيحاءات ومرائي الانفعالات، وأول أدوات التراسل والتواصل مع المحيط، وعليه المعول في الإبانة عن جوانية صاحبه ومقاصدها، وهو الى ذلك يشتمل على جوارح أخرى ذات أثر في التواصل والتراسل غير اللفظين، وأهمها: العينان، والفم، والحاجبان"[38]

ويمكن الوقوف على خطاب الوجه ودلالاته في شعر أبي نواس، وأول دلالة هي الحب ووصف جمال محبوبه من خلال وجهه، فيقول:

أيّها القادِمُ من بصْـ رَتِنا أهْلاً ورَحْبَا
و لقد صُبَّ على أعْـ ـلاهُ ماءُ الحسنِ صَبّا
صُبّ حتى قالت الوجْـ نةُ واللّبّةُ حَسْبَا[39]

يصور الشاعر جمال معشوقه القادم من البصرة فبعد أن يرحب به يبدأ بوصف جماله المتمركز في رأسه ووجهه إذ لم يكن جمالا عاديا بل كان آية في ذلك يصب الحسن فوق رأسه كما يصب الماء فينزل الحسن على وجهه ويمتلئ بالجمال حتى تصيح وجنتيه ان كفى قد امتلأنا جمالا وحسنا، وهذا الوصف هو غاية في الأبداع فقد جسد لنا الشاعر مشهدا حواريا بطريقة استعارية جميلة وكأن الوجنتين انسانا ينطق يقول حسبنا جمالا قد بلغنا الغاية في ذلك، وهذا الحوار هو لغة إيحائية تعبر عن الحسن في ملامح الوجه وهذه

الدلالة تحمل في طياتها دلالات عدة من: الشباب، والصحة الجيدة، والراحة الجسدية والنفسية التي تتجلى في وجه المعشوق.

وقد يصف الشاعر خجل المحبوبة بطريقة الإيماء الجسدي، كما في قوله:

وَذاتِ خَدٍّ مُوَرَّد فَتّانَةِ المُتَجَرَّد

تَأَمَّلَ الناسُ فيها مَحاسِناً لَيسَ تَنفَد[40]

هذه المرأة ذات خد كالورد وجسد فتان وهي ذات جمال متجدد لا ينتهي، والشاعر في هذه الأبيات يظهر خجل محبوبته وحيائها "فحمرة المعشوق ، فهي إما حياء وإما خجل، وكل منهما باعث للحرارة الى الخارج نتيجة احمرار الألوان وصفائها ، فأفضل الألوان الأحمر الصافي مطلقا حتى في الثياب"[41]

كذلك يصف أبو نواس قمة حياء المرأة، الذي يظهر على وجهها، فيقول:

نَضَت عَنها القَميصَ لِصَبِّ ماءِ فَوَرَّدَ وَجهَها فُرطُ الحَياءِ[42]

برز الخجل عن طريق التعبير الوجهي المتجلي في حمرة الوجه في الشطر الثاني من البيت، وهذا التعبير يتجلى في كثير من السياقات الإجتماعية في حياتنا اليومية، اذ يتحول لون خد المرأة من لونه الطبيعي الى الإحمرار بسبب الخجل، وهنا نلحظ أنه لا يوجد كلام منطوق، وانما هي دلالات غير لفظية عبرت عن مشاعر الشخص الذي بدت عليه هذه الايماءات الجسدية، فحمرة الوجه في الخطاب الشعري يعبر عن خطابا جسديا صامتا يخبر عن الحياء في مواقف الحب كما موضح في الأبيات السابقة.

والشاعر أبو نواس مولع بالوجه، ولا سيما الخد منه، فهو يذكره كعلامة للجمال والحسن لدى المرأة، فيقول:

يا رَبَّةَ الوَجهِ الجَميلِ وَالخالِ في الخَدِّ الأَسيلِ

جودي وَلَو بِكُدادِ ما تَسخو بِهِ نَفسُ البَخيلِ[43]

فالشاعر ينادي ذات الوجه الجميل ويطلب منها بأن تجود له بقليل من جمالها ولا تبخل عليه بشيء من مفاتنها (فالخال في الخد) صفة للمرأة الجميلة طالما تغنى بها الشعراء قديما وحديثا لما لها من أثر كبير في نفوس الرجال وقلوبهم .

ولم يكن الوجه ليفصح عن جمال المحبوبة وحسب بل إنه ينقل أخبار الحبيبة، كما في قوله:

فَقَد جاءَ الرَسولُ لَهُ اِنكِسارٌ وَحالٌ ما عَلَيها مِن قَبولِ

وَلَو رَدَّت جِنانُ مَرَدَّ خَيرٍ تَبَيَّنَ ذاكَ في وَجهِ الرَسولِ[44]

يبين الشاعر في تلك الأبيات هجر الحبيبة، وقد أرسل إليها رسولا يستفهم منها سبب الهجران والصدود، لكن الرسول قد عاد منكسرا لا يحمل خبرا يسر، وقد عرف الشاعر جواب الحبيبة من خلال وجه الرسول الذي يبدو من خلال السياق بأنه وجه حزين متشائم قطوب بعكس ما اذا كانت الأخبار سارة فسيكون وجهه مبتهج فرح سعيد، وهذا التضمين النصي لحركات الوجه هو خطاب جسدي صامت لا غنى عنه في

خطاباتنا اليومية كلها فنحن نستخدم حركات أجسادنا كلغة صامتة الى جنب اللغة المنطوقة من غير أن نشعر بهذه الحركات، فجاء الشاعر ليجسد لنا هذه الحركات عن طريق الشعر ويجعل الإيماءات حركات حية شاخصة أمامنا "فالقصيدة ليست لوحة جامدة، لا حياة فيها ولا حركة، ولكنها لوحة حية تفيض بالحياة والنشاط والحركة وأيضا الحرية والانطلاق"[45]

وقد أورد الشاعر الكثير من إيماءات الوجه وصفاته كالوجه الضاحك والعابس، فيقول في الوجه الضاحك:

يَحميكَ مِمّا تَستَسِرُّ بِفِعلِهِ ضَحِكاتُ وَجهٍ لا يُريبُكَ مُشرِقِ[46]

يصف أبو نواس ممدوحه بالوجه المشرق الوديع الضاحك وقد منحت صفة الضحك في هذا البيت دلالة إيحائية تنطق بالطمأنينة فلم يكن وجه الممدوح يضحك لأجل الضحك وإنما يضحك ليهب الطمأنينة لكل من يخفي شيئا ما في داخله، وهذه الصفة تنم عن طيب نفس الممدوح وجمال روحه وخفه مجالسته، فانت تطمئن نفسك لضحكاته وإشراقة وجههة، فتظهر كل ما في نفسك دون أن تخفي عنه شيئا.

أما الوجه العابس فيأتي في سياق الحرب والقتال كما في قول الشاعر:

عَبّاسُ عَبّاسٌ إذا اِحتَدَمَ الوَغى وَالفَضلُ فَضلٌ وَالرَبيعُ رَبيعُ[47]

ويقول أيضا:

لَئِن سُمّيتَ عَبّاساً فَما أَنتَ بِعَبّاسِ

لَدى الجودِ وَلَكِنَّ كَ عَبّاسٌ لَدى الباسِ[48]

ويدل العبوس على مشاعر سلبية، فتارة يدل على الحزن، وتارة أخرى يدل على الغضب، ويفصل الثعالبي في أشكال العبوس قائلا: " إذا زوى الشخص ما بين عينيه فهو قاطب وعابس، وإذا كشر عن أنيابه مع العبوس فهو كالح، فإذا زاد عبوسه فهو باسر ومكفهر، وإذا كان عبوسه من الهم فهو ساهم، وإذا كان عبوسه من الغيظ فهو مبرطم"[49]، ولمعرفة الشاعر أبو نواس بحركات الجسد وإيماءاتها فقد اعتذر لممدوحه بأن يكون عابسا في مقام الكرم لكنه عابس في مقام الشدة والقتال، فهو سيقابل أعداء لا رحمة في وجوههم، لتأتي صفة العبوسة مناسبة للقاء العدو وقتالهم.

ويجمع أبو نواس بين الوجه الضاحك والعابس بقوله:

تبكي البدور لضحكه والسيف يضحك إن عبس[50]

فالممدوح في البيت السابق يضحك مرة ويعبس أخرى كل في سياقه وموقفه، فهو في حالة السلم جميل وديع ضاحك أجمل من البدر في نوره وطلعته، أما اذا جد الجد وابتدأت المعارك فتجده عابسا، فعبارة (والسيف يضحك إن عبس) تدل على هيئة الممدوح أثناء الحرب وكأن سيفه رهين بيته يفرح إن حانت المعركة ليخرج من سجنه فيضحك لذلك، في حين أن الممدوح عابس أمام أعدائه وكأنه إنسان غير الذي يعهده الناس في سماحته وضحكه .

المبحث الثالث: خطاب هيئة المشي

يعد المشي من الدلالات المهمة والرئيسة في لغة الجسد، ومن طريقة المشي تتضح الكثير من صفات الشخصية والمشاعر التي عليها في أثناء المشي، كما يؤثر المشي إيجابا وسلبا في عملية التواصل، فطريقة المشي تختلف من شخص الى آخر ومن رجل إلى امراة، وبين صغير وكبير، كما تختلف اذا كان الشخص يمشي بمفرده أو كان يمشي معه شخصان أو ثلاثة أو أكثر، وتختلف أيضا طريقة المشي مع الشخص الآخر سواء أكان صديقا أم زوجة أم مديرا في العمل، فيقول الجاحظ: "وللإنسان نفسه اختلاف شديد على قدر الحالات المختلفة عليه، وبكل ذلك نطقت الأشعار، واستفاضت الأخبار، وشهد عليه العيان، وميزته العقول"[51]

فقد ميز الجاحظ في قوله السابق بين ثلاثة أنواع لهيئات المشي منها ما ترى بالعين وتدرك بالبصر، ومنها التي تدرك بالعقول من خلال دلالتها كمشية المتكبر التي يدركها عقل الإنسان بمجرد تصورها، أما النوع الثالث من هذه الهيئات فهي ما أشار اليه الجاحظ عندما قال: (اختلاف شديد على قدر الحلات المختلفة عليه)، وفي هذا القول تقرير لأنواع المشي واختلاف هيآته باختلاف حالاته من نفسية وعقلية أو جنسية أو غير ذلك من الأوضاع المختلفة.

لذا يمكن القول بأن المشي عامل مهم في عملية التواصل، وسنقف على هذه الهيئة في شعر أبي نواس للتعرف على أوضاعها وأحوالها، ومن ذلك قوله في مدح العباس بن عبيد الله بن جعفر:

لقد قوم العباس للناس حجهم وسار برهبانية ووقار[52]

فالشاعر يصف ممدوحه بالأوصاف الدينية نجدها في المفردات التي تدل على ذلك كالحج والرهبانية والوقار، فكلها مفردات دينية كان القائد في ذلك الوقت يحب أن يمدح بها؛ لذا نجد الشاعر قد عمد إليها في مديحه ووصفه لممدوحه.

لم تكن مشية الممدوح مشية عادية بل كانت مشيته رهبانية وقورة، وهذه الهيئة المعلنة في سياق المدح تتضمن دلالات كثيرة منها إظهار الممدوح بثياب التدين الإسلامي وغير الاسلامي فلفظة (رهبانية) لفظة اتصفت بها النصرانية، فقد وصف القرآن الكريم رجال الدين النصرانيين بقوله تعالى: **(ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)**[53] ، فهي صفة إيجابية تدل على التدين والخوف من الله سبحانه، وهذه الهيئة – مشية الرهبانية – توحي بصفات الرفق والهدوء لدى صاحبها، فهو يتمتع بالهيبة والوقار والهدوء، والمشي هنا "يعد مثل الجلوس والوقوف من الهيئات أو الاوضاع الجسمية التي نقف من خلالها على شخصية الإنسان وحالته النفسية، ونلاحظ أن مشيتة الإنسان تتشكل بحركة الذراعين والقدمين الى جانب الكتفين أيضا وبنية الجسم الثقيلة أو الخفيفة أو الضعيفة أو القوية، وهوية الماشي من كونه رجلا أو امرأة أو طفلا"[54] ، ويظهر الشاعر أبو نواس متأثرا بالتنوع الديني الذي كان يسود العصر العباسي،

حيث كان المجتمع يتمتع بحرية دينية واسعة وكانت الديانات الأخرى تمارس شعائرها بأريحية تامة وحرية واضحة منحها لهم الخلفاء في تلك الفترة.

كما يصف أبو نواس ممدوحا آخر بخفة المشي وهدوئه ورصانته في حالة الحرب والإغارة على العدو للدلالة على حنكته وخبرته في خوض الحروب والظفر بالأعداء يقولك:

سَمَوتَ لِأَهلِ الجورِ في حالِ أَمنِهِم فَأَضحَوا وَكُلٌّ في الوِثاقِ أَسيرُ

إِذا قامَ غَنَّتهُ عَلى الساقِ حِليَةٌ لَها خُطوَةٌ عِندَ القِيامِ قَصيرُ[55]

يصور الشاعر مشهدا من مشاهد المعارك التي خاضها ممدوحه ضد أعدائه فيصور خفة نهوضه إليهم وقيامه لقتالهم وهم في حال أمنهم وغفلتهم فيأسرهم كأنهم صيده وطرده، وفي قيامه ذلك وسيره الى العدو يتجمل القائد بحلية مناسبة لسياق المشهد القتالي والحلية هنا هي السيف العظيم الذي يتوشح به فيجعل خطواته قصيرة بسبب تلاطم السيف على ساقه، وقصر خطوات القائد وهو على هذه الحال فيها دلالة على رصانته، وكناية عن خبرته في الحروب وقتال الأعداء [56]

أما المشي السريع فقد وصف الشاعر أحد ممدوحيه بقوله:

وَجَرى جَريَ جَوادٍ قَد أَفاتَ الخَيلَ سَبقا[57]

فممدوحه سريع جدا حتى أنه يسبق الخيل في جريه، وهذه صورة حية لهيئة الممدوح تظهر كرمه وسرعة وثوبه لفعل الخير وشجاعته.

وفي هذه الهيئة يقول أيضا:

فَشَمَّرتُ أَثوابي وَهَروَلتُ مُسرِعاً وَقَلبِيَ مِن شَوقٍ يَكادُ يَهيمُ

إِلى بَيتِ خَمّارٍ أَفادَ زِحامُهُ لَهُ ثَروَةً وَالوَجهُ مِنهُ بَهيمُ[58]

يختلف المشهد في هذه الأبيات عن المشاهد الأخرى في كونه صورة خمرية، فالشاعر هنا لا يسرع الى فعل الخير بل إنه يشمر عن ساقيه ويركض نحو الخمرة يشربها، فهو في شوق إليها وكأنها عشيقته المستهام بها، وهذه الهيئة تظهر جانبا ماجنا للشاعر أبي نواس.

ويصف أبو نواس مشية المرأة المختالة التي أمرضته بهيئتها، وقد مرت من أمامه فيقول:

وَيَعلَمُ اللهُ عَلى عَرشِهِ بِما طِبّيَ الماءُ وَلا دائي

إِلّا لِما أَلقى بِإِنسانَةٍ مُختالَةٍ في نَعلِ حِنّاءِ[59]

فالاختيال هي صفة للمشي المغرور وقد وصف الله سبحانه في القرآن الكريم هذه المشية بقوله : **(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)**[60]، وعلى الرغم من دلالة الغرور والفخر السلبية لهذه الهيئة إلا أن الشاعر قد أحب المراة من أجل هيئتها وكأن المرأة المختالة توحي بالترف والنضج العقلي والعاطفي عند الشاعر، يدل على ذلك نعلها المخضب بالحناء، وصورة الحناء تعكس بعدا

جماليا لصيقا بالمرأة، يبقى الشاعر مولعا بمثل هذا البعد الجمالي؛ لأنه يوقظ وجدانه أكثر من وظيفة بصرية تتحول الى وظيفة معنوية، ومجيء الحناء في هذا السياق أعطى دلالات الزينة والترف الذي اتسم به ذلك العصر، لذا نجد المحبوبة وهي في هيئتها تلك قد سحرت لب الشاعر واخذت بمجامع عقله وتعلقت به أيما تعلق.

وفي صورة أخرى لهيئة المشي لدى النساء وهي صورة المشي المتثاقل حيث وصف أبو نواس النساء بهذه الهيئة للدلالة على جمالهن فيقول:

في ظِباءٍ يَتَزاوَر نَ فَيَمشينَ ثِقالا[61]

يشبه الشاعر النساء بالظباء بطريقة الاستعارة التصريحية حيث حذف المشبه (النساء) وجاء بلازم من لوازمه وهي التزاور التي تكون صفة للنساء، فهو يشبه النساء بالظباء المتثاقلة وهذه الهيئة الظاهرة تضمر في سياقها جمال المراة ، فالنسوة يظهرن أنهن ذوات غنج ودلال كثيرين، وكأنهن ظباء متثاقلة في مشيها قد أثقلها امتلاء أردافها وثقل أجسامها وهو كناية عن الترف والجمال والأنوثة الجاذبة للرجال.

وتتمايل المرأة في مشيتها وهي تخاطب الشاعر وتحاوره، وكأنها ترقص له وهي تمشي يصور ذلك أبو نواس في قوله:

قالَت وَقَد جَعَلَت تَمايَلُ لي كَتَمايُلِ الماشي عَلى الدَفِّ[62]

يبدو الشاعر في هذا البيت مفتونا بهيئة الساقية وهي تتمايل بقدها الممشوق عند المشي، ولعل فتنتها تكمن في تثنيها وتمايلها، وما ذلك التمايل إلا حركات جسدية معلنة تضمر في طياتها أنواعا من الخطابات الصامتة، فهي في حوار مع الشاعر يحقق ضربا من التواصل والتفاعل الحسي تقدم المرأة من خلاله دعوة صريحة للمكاشفة ومطارحة الهوى ومصارحة الشاعر في حركات ذات إيقاع مقصدي تعد بتلبية الشهوات والرغبات.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

أُفعِمَ الأَردافُ مِنهُ وَانطَوى الكَشحُ وَدَقّا
وَإِذا ما قامَ يَمشي مالَتِ الأَردافُ شِقّا[63]

فصفة التمايل لدى الساقي مذكرا كان أم مؤنثا أخذت حيزا كبيرا في حركات الجسد وخطابه عند أبي نواس، ولا سيما في وصفه للأرداف، فلم تكن الأرداف لتنفصل عن الخصر الدقيق والبطن الضامرة فالمرأة الجميلة تملك ردفين بارزين بروزا متناسبا مع الجسم كله، وحتى النساء المجدولات يملكن أردافا بارزة حتى يكون التباين واضحا بين الأرداف والخصور اذ بينهما علاقة عكسية في شعر أبي نواس ،فالردف الثقيل يبرز الخصر الدقيق ، كما إن الخصر الدقيق يظهر بطبيعة الحال الردف الثقيل فكل منهما يبرز الآخر بوضوح ويزيد من جاذبيته وإغرائيته.

المبحث الرابع: خطاب اليد

تحمل اليد دلالات وتفسيرات متنوعة وكثيرة في المواقف والسياقات الإجتماعية المتكررة بشكل يومي في حياة الفرد، وتكون هذه الإيماءات إيجابية أو سلبية بحسب طبيعة السياق التي تؤدى فيه، فاليد هي الأداة الأولى للعمل.

فتلك الإشارات لها وقع في نفس متلقيها من: الترحيب والرفض والنفور، والاستهزاء، وكثير من التفسيرات الأخرى باليد وأطراف الأصابع أحيانا.

ونجد تأكيدا على أنّ اليد تحمل دلالات متنوعة في السياقات المختلفة عندما قال سيغموند: "ذاك الذي تصمت شفتاه يثرثر بطرف أصابعه"[64]

تكثر دلالات اليد وتفسيراتها في السياقات اليومية عامة، وتحضر في الشعر فتكون خير معبر عن المشهد الذي يدور فيه الحدث، وبذلك تحضر اليد في المشهد بقوة وتؤدي كثيرا من المعاني، كما تغني في بعض المشاهد عن الكلام المنطوق.

وقد أورد أبو نواس اليد ودلالاتها في شعره في كثير من القصائد التي أبدعها وأنتجها، وسنتناول هذه الدلالات في ما ياتي:

لِضَوءِ بَرقٍ ظَلَلتَ مُكتَئِباً شَقَّ سَناهُ في الجَوِّ وَالتَهَبا
فَبِتُّ مِثلَ المُقيمِ مُغتَرِباً يَدعو بِواوَيلَتا وَواحَرَبا
مُنقَدَّ جَيبِ القَميصِ يَحثو عَلى الـ رَأسِ مَليّاً بِكَفِّهِ التُّرُبا[65]

يصف أبو نواس حالة من حالاته النفسية السيئة وقد جلس ليلة يشاهد السماء ببرقها الملتهب ، يتذكر أيام الصبا والشباب وقد أورثه التذكر الحزن والبكاء على أيامه الخوالي فبات ليله حزينا يدعو على نفسه بالهلاك والويل منقد جيب القميص وهي كناية عن ذله وشدة فراغه وحزنه وكأنه يحثو التراب على رأسه من البكاء، وقد جاء ذكر الكف هنا لما فيه من خطاب جسدي يدل على الحزن والبكاء الشديد فوضع التراب على الرأس بالكف أو الضرب بالكف علامة جسدية تظهر شدة الحزن والجزع وهو ما أراد الشاعر تصويره في هذا المقطع الشعري.

وياتي خطاب اليد للدلالة على ذل السؤال أو الكدية، فيصف أبو نواس ذله لحبيبته وهو يمد إليها يده ليسألها حبها ووصالها، فيقول:

أَينَ الجَوابُ وَأَينَ رَدُّ رَسائِلي قالَت تَنَظَّر رَدَّها في قابِلِ
فَمَدَدتُ كَفّي ثُمَّ قُلتُ تَصَدَّقي قالَت نَعَم بِحِجارَةٍ وَجَنادِلِ[66]

فالشاعر هنا لا يسأل عن المال ولا يمد يده لذلك بل يسأل حبيبته أن تجود له بحبها وكأنه يقف ببابها متسولا كما يفعل المتسولون في الشوارع بحثا عن المال، إن الحب هو من جعل الشاعر في ذلك الموقف

الوضيع، وأي ذل أن يجعل العاشق من نفسه متسولا مادا يداه لمن يحب، إنها قمة الذل للحبيب، ومد اليد يمكن عده خطابا جسديا صامتا لكون المتسول حين يمد يده يعلم من حركاته أنه يطلب شيئا ما، فهي إذا حركة جسدية تضمر طلبا ما يقوم المقابل بفعلها وأدائها.

وفي المعنى نفسه نجد الشاعر يصرح بسؤال الحبيب عن حبه من خلال مد اليد، فيقول:

لا فَرَّجَ اللهُ عَنّي إن مَدَدتُ يَدي إلَيهِ أَسأَلُهُ مِن حُبّكَ الفَرَجا[67]

وقد تأتي اليد لتعبر عن كرم صاحبها، كما في قول أبي نواس:

جَوادٌ إذا الأَيدي كَفَفنَ عَنِ النَدى وَمِن دونِ عَوراتِ النِساءِ غَيورُ[68]

يصف الشاعر الكرم والجود الذي وصف به ممدوحه فهو جواد مستمر العطاء حتى لو امتنعت الأيدي عن العطاء والنوال، فذكر اليد هنا جاء للدلالة على الكرم، إذ أن اليد تكثر في الشعر للدلالة على الكرم وإسباغ الهدايا للمحبين، فقد عبر أبو نواس في هذا البيت عن اليد الكريمة المعطاءة عن طريق الهدايا التي قدمت إليه، وفي كثير من المواقف لا تعبر الكلمات عن المشاعر سواء أكانت إيجابية أم سلبية، وإنما يتم التعبير عنها بلغة الجسد "فتكمل وتتم الإشارات الجسمية النقص أو القصور اللذين يشعر بهما المتكلم تجاه اللغة وتجاه ذاته المتكلمة عندما تخذله الكلمات وتخونه الأفكار، فيلجا الى استغلال أعضاء جسمه الإشارية، مثل: اليد، والأصابع، والرأس، والحاجبين، والفم، والكتفين، نرى ذلك كثيرا من المواقف، وفي بعض الحالات عندما ينتقل متكلم من بلده الى بلد آخر لا يعرف لغته، فتقوم الإشارة في هذه الحالة بمهمة الترجمة البصرية لما يريد، نجد الإشارة تكمل القصور والعجز عن هؤلاء الذين يولدون وقد فقدوا حاستي السمع والكلام"[69]

فاليد خطاب جسدي يساعد على التواصل وتوضيح المعنى المراد ويتوقف فهم المعنى على المتلقي، ونجد الشاعر في موطن الكرم والعطاء أيضا يذكر اليد والاصابع، فيقول:

لولا أبو العباس ما نظرت عيني الى ولد ولا وفر

الله ألبسني به نعما شغلت جسامتها يدي شكري

لقنتها من مفهم فهم فعقدتها بأنامل عشر[70]

يصف الشاعر ممدوحه الذي أغناه مؤونة العيش فلولاه لم يعش منعما وينجب أولادا، فالممدوح كان بعد الله سببا في عيشه وهنائه في حياته، حيث ألبسه الله النعم الكثيرة بفضل ذلك الممدوح الكريم وتأتي لغة الجسد حين يصور الشاعر بطريقة مجازية لباس الخير الذي منحه الله له بوجود الكريم وإنه قد عقد ما البسه إياه من نعم كثيرة بأصابعه، وذكر اليد والاصابع في الابيات السابقة فيه خطاب جسدي يدل على تقبل الشاعر لكرم الممدوح وشكره له على ما أسداه اليه من النعم الجسام.

ومن دلالات اليد المرتعشة والمرتجفة التي تكثر شعر الخمريات عند أبي نواس، شدة السكر، كما في قوله:

وَنَدمانٍ تَرادَفَهُ خُمارٌ فَأَورَثَ في أَنامِلِهِ اِرتِعادا

فَلَيسَ بِمُستَقِلٍّ الكَأسِ ما لَم تَكُن يُسراهُ لِليُمنى عِمادا

رَفَعتُ لَهُ يَدي وَهناً بِكَأسٍ بِها مِنها تَزَيَّدَ فَاِستَعادا[71]

يصف الشاعر جلسة من جلسات الخمر ويصف أحد أصحابه بأنه يكثر من الخمر حتى ارتعشت يداه من كثرته، فهو لا يستطيع ان يستقبل الكأس حتى يسند يده اليسرى الى اليمنى لتعينها على استلامه والامساك به، فيظهر في هذا المشهد القائم على الوصف ارتعاش اليد الدالة على فقدان العقل في هذا السياق، وكانت حركتها مضطربة غير متوازنة.

الخاتمة والنتائج

بعد الانتهاء من البحث في خطاب الجسد في شعر إبي نواس يمكننا ملاحظة الجسد وخطاباته قد تجلت في شعر ابي نواس بوضوح ، وشكلت حضورا واسعا في كثير من المشاهد التي أنتجها الخطاب الشعري المنطوق، سواء أكانت هذه المشاهد مدحية أم غزلية أم خمرية، وفي الكثير من المشاهد التي قدمها الشاعر لحظنا أن خطاب الجسد أدى الى كثيرا من المعاني التي لم تؤدها اللغة المنطوقة، ونذكر بعضا من النتائج التي توصل لها البحث ومنها:

1- دعمت لغة الجسد في شعر ابي نواس الاتصال المنطوق المتجلي عن طريق الكلمات فأغنت في كثير من المواقف والمشاهد عن اللغة المنطوقة.

2- ساعد خطاب الجسد عند إلقاء الأبيات الشعرية في جذب انتباه المتلقي عن طريق وصف المشاهد التي قدمها الشاعر.

3- كانت العين أبرز الأعضاء وأكثرها في خطاب الجسد عند أبي نواس، لا سيما في غرض الغزل.

4- استعمل الشاعر اليد وخطاباتها في غرض المديح وهو ما يلائم الغرض .

5- قدم أبو نواس في كثير من المشاهد معنى ظاهرا واضحا عن طريق الكلمات، ولكن في الوقت نفسه قدم معنى خفيا تجلى عن طريق لغة الجسد.

6- لم يقتصر خطاب الجسد على موضوع ما دون آخر، بل حضر الخطاب في الموضوعات المختلفة، كالغزل والمديح والخمريات وغير ذلك.

المراجع

[1]- ابن جني، الخصائص: 33/1.

[2]- محمد كشاش، اللغة والحواس، رؤية في التواصل والتعبير بالعلاقات غير اللسانية: 19.

[3] - موفق الحمداني، اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة: 17.

* لقد اطلقت على الاتصال غير اللفظي تسميات عدة منها: الإتصال الجسدي، واللغة الجسدية، والكلام الجسدي، والحركة الجسمية، والسلوك الحركي، والعلامات الحركية، والتمثيل بلإشارات، واللغة الصامتة، وتعد الحركة التعبيرية والتعبير بالوجه من عناصر الدراما الجمالية، فإلى جانب الحدث والموسيقى والغناء هناك حركة التعبيرية والتعبير بالوجه، ينظر: (العبارة والإشارة _ دراسة في نظرية الإتصال، د، محمد العبد: 100 و 114).

[4]- إدوارد تي هول، اللغة الصامتة، ت: لميس فؤاد اليحيى، ص 130.

[5] - محمد محمد داود، جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية _ دراسة دلالة و معجم :8.

[6] - المصدر نفسه: 11.

[7]- مها فخري قنبر، لغة الجسد _ وسيلتك لفهم الآخر و وسيلة الآخر للتعبير: 18.

[8] - فؤاد اسحاق الخوري، لغة الجسد _ أنا عنترة و هي تحبني،: 2.

[9] - تونيا ريمان، قوة لغة الجسد _ مفتاحك إلى النجاح في كل مجابهة مهنية أو اجتماعية، ت: رفيف غدار: 51.

[10]– محمد بن أبي طالب الأنصاري، السياسة في علم الفرسة، تحقيق أحمد فريد المزيدي: 57.

[11]– المصدر نفسه: 50

[12]– ابن عبد ربه ، العقد الفريد: 2/ 115.

[13]– الخرائطي، اعتلال القلوب في اخبار العشاق والمحبين: 217/5.

[14]– ديوان ابو نواس: 314.

[15]– ديوان ابو نواس: 484.

[16]– ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفة والالاف: 103.

[17]– ديوان ابو نواس: 608.

[18]– ديوان ابو نواس: 622.

[19]– ابن حزم، طوق الحمامة: 103.

[20]– ديوان ابو نواس: 609.

[21]– المصدر نفسه: 340.

[22]– نفسه: 551.

[23]– نفسه: 618.

[24]– نفسه: 603.

[25]– ابن حزم، طوق الحمامة : 108.

[26]– ديوان ابو نواس: 558.

[27]– وليد محمد السراقبي، سيميائية لغة الجسد (دراسة دلالية تواصلية) : 40–41.

[28]– ديوان ابو نواس: 329.

[29]– محمد كشاش، بحث لغة الصمت: دلالة الحال لسان المقال: 106.

[30]– ابن قتيبة، عيون الاخبار: 85/4

[31]– الميداني ، مجمع الامثال: 1/ 306.

[32]– ديوان ابو نواس: 318–319.

[33]– محمد مهرات، ديوان ابو نواس: 475.

[34]– ديوان ابو نواس: 173.

[35]– المصدر نفسه: 603.

[36]– سورة يوسف: آية: 9.

[37]– مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان(دراسة في لغة الجسد): 45.

[38]– وليد محمد السراقبي، سيميائية لغة الجسد (دراسة دلالية تواصلية): 19.

[39]– ديوان ابو نواس: 487.

[40]– المصدر نفسه: 604.

[41]– الانطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق: 272.

[42]– ديوان ابو نواس: 75.

[43]– المصدر نفسه: 551.

[44]– نفسه: 626.

[45]– يوسف خليف، في الشعر العباسي: 54.

[46]– ديوان ابو نواس: 344.

[47]– المصدر نفسه: 318.

[48]– نفسه: 314.

[49]– الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية: 159.

[50]– ديوان ابو نواس: 313.

[51]– الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي: 139.

[52]– ديوان ابو نواس: 281.

[53]– سورة المائدة : اية :82.

[54]– كريم زكي حسام الدين، الاشارات الجسمية(دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل) : 29.

[55]– ديوان ابو نواس: 287.

[56]– ينظر: ديوان ابي نواس: 329.

[57]– ديوان ابو نواس: 328.

[58]– المصدر نفسه: 586.

[59]– نفسه: 586.

[60]– سورة لقمان: اية : 18.

[61]– ديوان ابو نواس: 333.

[62]– المصدر نفسه: 467.

[63]– نفسه: 326.

[64]– ناتالي باكو، لغة الحركات: 76.

[65]– ديوان ابو نواس: 66.

[66]– المصدر نفسه: 626.

[67]– نفسه: 598.

[68]– نفسه: 290.

[69]– كريم زكي حسام الدين، الاشارات الجسمية (دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل) : 124.

[70]– ديوان ابو نواس: 371.

[71]– المصدر نفسه: 236.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

– ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط4، 1990م.

– ابن حزم ، طوق الحمامة في الالفة والالاف، تحقيق: د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

– ابن عبد ربه ، العقد الفريد، شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم، الأبياري، دار الأندلس، بيروت، د.ط، 1996.

– ابن قتيبة، عيون الاخبار، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ط، 1418هـ.

– إدوارد تي هول، اللغة الصامتة، ت: لميس فؤاد اليحيى، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن، ط1، 2007.

– الانطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، تحقيق، أيمن البحيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.

– تونيا ريمان، قوة لغة الجسد _ مفتاحك إلى النجاح في كل مجابهة مهنية أو اجتماعية، ، ت: رفيف غدار، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.

– الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، قرأه وقدم له وعلق عليه خالد فهمي تصدير الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ – 1998م.

– الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط5، 1992.

– الخرائطي، اعتلال القلوب في اخبار العشاق والمحبين، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2001 .

– ديوان ابو نواس برواية الصولي، تحقيق، الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ط1، 2010م.

– فؤاد اسحاق الخوري، لغة الجسد _ أنا عنترة و هي تحبني، دار الساقي للطباعة والنشر، ط1، 2000.

– كريم زكي حسام الدين، الاشارات الجسمية(دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل)، دار الغريب، القاهرة، ط2، 2001م،

– لغة الجسد _ وسيلتك لفهم الآخر و وسيلة الآخر للتعبير، مها فخري قنبر.

– محمد بن أبي طالب الأنصاراري، السياسة في علم الفرسة، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2005.

– محمد كشاش، اللغة رؤية في التواصل والتعبير بالعلامات غير اللسانية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2001م.

– محمد كشاش، بحث لغة الصمت: دلالة الحال لسان المقال، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد 470، تشرين الثاني، 2002م.

- محمد محمد داوود، جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية _ دراسة دلالة و معجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- محمد مهرات، ديوان ابو نواس، دار مهرات للعلوم، حمص، سورية، ط1، 2009.
- مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان(دراسة في لغة الجسد)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
- موفق الحمداني، اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة، كلية الآداب ، جامعة بغداد، د.ت.
- الميداني ، مجمع الامثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، د.ط.
- ناتالي باكو، لغة الحركات، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.
- وليد محمد السراقبي، سيميائية لغة الجسد (دراسة دلالية تواصلية)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 2018م.
- يوسف خليف، في الشعر العباسي، دار غريب ، القاهرة، د.ط، د.ت.